الفصل الحادى عشر

التراث الدينى
وتطور الجماعات

obeikan.com

الفصل الحادى عشر

التراث الدينى وتطور الجماعات

(أ)

الدين وسيلة لتمييز الجماعات الإنسانية

المقصود بالتراث الدينى، كافة المتون الدينية الأصلية التى رواها الحكماء والأنبياء، وهى «السُّورْتا»[1] فى اللغة المصرية القديمة.. ويضاف إلى تلك المتون والسورتات أقوال الشرّاح والمفسرين، وقصص وأحلام وأوهام وأكاذيب المنتفعين بالأديان.

وهناك مصدران كبيران للتراث الدينى فى العالم القديم: المنبع الهندى المسئول عن كافّة تلوينات الدين فى جنوب شرق آسيا (بما فى ذلك اليابان والفلبين) من بوذية وكونفشيوسية وزرادشتية.. والمنبع المصرى المسئول عن أديان السامية فى غرب آسيا والشرق الأوسط (وانتشار أديان السامية الثلاثة فى أوربا وأمريكا والعالم).

والأصل فى الأديان أنها الوسيلة التى لجأ إليها الإنسان الحديث (ما بعد إنسان نياندرتال) لاكتساب التماهى (التشابه بين أفراد جماعة معينة) والتمايز عن الجماعات الأخرى.. واتساقاً مع هذا الدور الرئيسى للدين، نذكّر القارئ بأنّ كثير من كهنة القبائل الإفريقية قريباً من خط الاستواء كانوا مسئولين عن تشريط وجوه أفراد مجتمعاتهم أو تخطيطها بخطوط خاصة تميّز أفراد الجماعة عن الجماعات الأخرى، وهذا لا يمنع من أن الدين أجاب

عن تساؤلات البشر، كما أنه يسّر عليهم تقبل الموت بالأمل فى رجاء القيامة والبعث ودخول الجنة.. خصوصا لدى المكدودين والفقراء الذين ساندهم المسيح بقوله: «إن دخول الأغنياء إلى مملكة السماء أصعب من مرور الجمل من سِمِّ الخِياط (ثقب الإبرة).

والدين ـ بإكسابه الإنسانَ التمايزَ والتماهى ـ لا يختلف عن الرائحة الخاصة التى تميّز جماعات الحشرات الاجتماعية كالنمل والنحل، كما أشار إلى ذلك العالم الأمريكى الإفريقى جورج واشنطن كارفر(٢).

☆☆☆☆☆

(١) سُورتا: كلمة مصرية قديمة تعنى النصّ المستخدم فى القداس وانتقلت للساميات فى أشكال منها: سورة من سور القرآن. سِفْر العربية وسيفْر العبرانية بمعنى كتاب. صوارا الآرامية والسريانية..

٢- جورج واشنطن كارفر: عالم حيوان (حشرات) أمريكى من أصول إفريقية، فضلا عن عمقه وتأملاته فى الحيوان والحشرات.

(ب)

أعباء التراث الدينى على تطوّر الجماعات

تختلف أعباء التراث الدينى على تطوّر الجماعات:

■ لإحكام سيطرة المؤسسة الاجتماعية الدينية فى الهند القديمة على أفرادها، ابتكر الفقهاء الهنود، ذلك التقسيم الحاد بين طبقات المجتمع الهندى القديم، وأثبتوا ـ فى تراثهم الدينى ـ: «أن الكهنة وفقهاء الدين ومفسروه والحكّام خرجوا من رأس الله «براهما» والكاشاتْرِيا (الجنود) خرجوا من منكبىّ براهما، والڤيسيا (العاملون باليد) خرجوا من رجلىْ براهما، والسُّودْرا (العبيد) خرجوا من أقدام براهما.

والهندى الصالح عليه أن يرضى بالطبقة التى وُلد فيها، وإن أراد الصعود فَلْيعَمَلْ المزيد من الخير فى دورته الحياتية الحاليّة، فيرقى فى دورته التالية.. وفى النهاية يموت فيندمج تماما مع براهما، فيما يُعرف بالنَّرڤانا، أى الحلول فى الله.

كذلك فسّر الكهنة الهنود الأمور الطبيعية تفسيرات ميثولوجية: «...سمع سائقنا الهندى ديكا يصيح عند الفجر، فوجّه إلينا السؤال: لماذا يصيح الديك عند الفجر؟ فأجبنا: هذه مسألة تعود لأسباب طبيعية كإحساس الطائر بالضوء، أو حركة الطيور الأخرى أو ماشابه ذلك. فابتسم السائق مزهوّا بتراثه الدينى الذى يفسر كل صغيرة وكبيرة. وقال: «كان الديك قديما ذا ذيل جميل كمروحة الربّة «تارا».. وكان الطاووس ذا ذيل

قصير، فاستعار الطاووس ذيل الديك الذى يشبه مروحة الربّة « تارا » . . واتفقا على أن يعيد الطاووس للديك ذيله عند الفجر (بعد أن يكون الطاووس قد حضر عُرْس طاووس وطاووسة) . . ولكنّ الطاووس لم يُعِد ذيل الديك الذى يشبه مروحة الربّة تارا . . وظلّت الديكة ـ حتى الآن ـ تصيح عند الفجر عسى أن تعيد إليها الطواويس ذيولها التى تشبه مروحة الربّة « تارا » !!!

ومع هذا، فليس للتراث الدينى الهندى أى عبء على تطور وتقدّم الجماعات الهنديّة، ذلك لأن « براهما » يقول صراحة : « دعونى فى سمائى واهتموّا بشئونكم . . . والخير كل الخير فى إتقان الزراعات والحرف من أجل أبناء براهما . . . » .

■ فصل المسيح ـ بتأثره بالفكر اليونانى الرومانى ـ بين الدين والدولة بكلمته الخالدة : « دَعْ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله » وبالرغم من ذلك » فإن المؤسسة الدينية المسيحيّة القاهرة سيطرت بقسوة على أتباعها فى العصور الوسطى، حتى صارت المسيحية عبئاً على تطوّر الجماعات المسيحية :

١ـ أدخلَتْ الكنيسة بعضَ الناس الجنةَ، وحرمَتْ آخرين منها، وفقا لصكوك الغفران . . . مع أن المسيح استسلم للصلب ـ فى العقيدة المسيحية ـ تكفيرا عن الخطيئة الأولى، وعن خطايا من يأتون بعده .

٢ـ حينما أكدّ المشرّح هارڤى أن فى القلب أذينين وبطينين . . وكان أرسطو يقول : إن فى القلب وعائين أحدهما للدم الصالح (الأحمر) والآخر للدم الفاسد (الأزرق) . . ولما كانت الكنيسة مسئولة عن أفكار أرسطو . . سمح أحدُ آباء الكنيسة الكاثوليكية لنفسه أن يقول : « إذا كان ما رآه هارڤى حقاً . . وإنّ ما يقوله أرسطو حق هو الآخر . . إذن فقد

حدث تغيّر للطبيعة البشرية بعد أرسطو.!!؟؟».

٣- كذلك أوشك رجال الدين أن يقتلوا جاليليو لأفكاره المخالفة للتراث الدينى (والمتفقة مع العلم).

٤- كذلك ابتدع رجال الدين «الحرمان من الكنيسة» والذى تحرمه الكنيسة لا يتزوج، ولا يدفن حين يموت، بل يترك حتى يتعفّن، ولا يجرؤ أهله على دفنه.. (هناك قصيدة للشاعر الفرنسى الكبير «بُودْلِيرْ» بعنوان «وصف جيفة على نهر السين» تصف ذلك الأمر.

٥- حرّمت الكنيسة الكاثوليكية أفكار ابن رشد التى انتشرت فى أوربا (خارجة من مهدها فى الأندلس) واعُتبرُ كل من يقرأ ابن رشد «رشدّيا» أى ملحدا (واعتبر الأوربيون المعاصرون ابنَ رشد أحدَ المؤثرين فى النهضة الأوربية وتخطى عقبة العصور الوسطى المسيحية).

وتهاوَتْ رجعية العصور الوسطى، ورفضت الجماعات (والجامعات) الأوربية أعباء التراث المسيحى.. وأضاءت أوربا أنوارٌ جديدة، كان من أعلامها ـ كما قلنا ـ ابن رشد العربى المسلم. «وابن رشد هو الأستاذ المباشر لعميد التنوير فى الفكر المسيحى، وهو الأب توماس الإكوينى، وثابتٌ عند (رينان وغيره من مؤرخى الحضارات) أن الأب توماس كان من جماعة الدّومينيكان، وكان صديقا للأب «ريموند مارْتان»، وأن الكنيسة التى كان هؤلاء يتبعونها هى كنيسة «توليدو» (طليطلة العربية)، التى أرسلت بهم إلى المغرب لدراسة اللغة العربية وعلم الكلام والثقافة الإسلامية وآراء ابن رشد.

☆☆☆☆☆

(جـ)

عبء التراث الإسلامى على تطور المسلمين

ويظهر الإسلام، وهو الدعوة الساميّة الأخيرة، ويسود منطقة الشرق الأدنى وينتشر فى العالم (أكبر أعداد أتباع الأديان هم: البوذيون. الكونفشيوسيون. المسيحيون. المسلمون) وتخضع المجتمعات الإسلامية والعربية لأعباء التراث الإسلامى.. ويسود فكر إسلامى أحادى النزعة يميل إلى رفض الآخر، بما فى ذلك «الآخر الإسلامى» الذى يميل إلى العقل والتأمل والفلسفة:

١- حاول **الخوارج** تقديم رؤاهم الخاصة، وهى أفكار عميقة تميل إلى الحكمة والعقل: فيرى عبد الله بن أباض التميمى أن الله لا يمكن أن يُرَى لأنّه يندّ عن المكان والزمان، وفسر «إلى ربّها ناظرة» بمعنى أنها منتظرة لحكم ربها.. ورفض الإسلام السنّى السلفى ذلك.. ولم يبق من الخوارج إلا الإباضية فى عمان وتونس وبعض مناطق شمال إفريقيا.. ولفظ «الخوارج» ليس بمعنى الخروج عن الدين (كما يحاول أن يوهم بذلك بعض أهل السنة) ولكن «الخوارج» نسبة إلى الآية الكريمة: ﴿**وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ**﴾ [النساء: ١٠٠].

٢- حاول **إخوان الصفا** ـ من خلال رسائلهم ـ الحد من عبء الفهم السطحى للمتون الإسلامية (الكتاب والسنة) ومالوا إلى تفسير التراث

الإسلامى تفسيرا عقليا فلسفيا. (نشأت جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا فى البصرة فى العراق حوالى سنة ٩٠٠ ميلادية) إلا أن التيار السلفى السنّى حَرَم المجتمعات الإسلامية من هؤلاء (البروتستانت المسلمين» كما كان يشبههم الدكتور عبد الحليم محمود (شيخ الأزهر وهو حاصل على الدكتوراه من السوربون) فى بعض محاضراته فى دار العلوم.

٣- وفى وقت مقارب لظهور الخوارج والإباضية وإخوان الصفا، ظهر **المعتزلة**، وحاولوا الخروج من أسر التيّار السلفى العام، ومالوا إلى التفسير العقلى العميق للنصوص، ولو استجابت المجتمعات الإسلامية لفكر المعتزلة، لكان لتطور المسلمين شأن آخر.. آمن المعتزلة بحرية الإرادة الإنسانية، وبمسئولية الإنسان عما يفعل، وأمّا «إرادة الله» فقد فسروها بسابق علم الله لأفعال العباد، ولهذا أطلق عليهم «أهل العدل والتوحيد» لأن سبق علم الله، لا ينفى مسئولية الإنسان عما يفعل، كذلك لم يرتاحوا إلى تصنيف مركز المسلم: إما أنه مؤمن أو كافر، ورأوْا أن مرتكب الكبيرة فى «منزلة بين المنزلتين» فهو متروك لحكم الله.. ولم يسمح التيار السلفى العام باستمرار المعتزلة، خصوصا وأن الدول الإسلامية ـ عموما ـ دول تعتمد على فقهاء التيار السلفى، فضلا عن أنها فى مجملها (كما يقول رينان): «دول استبدادية شرقية تميل إلى استخدام الأعوان والمنافقين والأفاقين، ولا تميل لأصحاب العقول الراجحة والضمائر الحية».

٤- ونلحظ استبداد التيار السلفى العام، وتحوّله إلى عبء على تطوّر الجماعات الإسلامية من خلال هذه الاقتباسات من أقوال بعض أقطاب الاتجاه السلفى:

● قال ابن تيمية (وهو حنبلى) :« ...لابد وأن الله سيعاقب المأمون العباسى (المسئول عن ترجمة الفكر اليونانى والرومانى إلى العربية) لما أدخله على هذه الأمة... ».

● قال أبو يوسف (وهو من تلاميذ أبى حنيفة) : « من طلب الدين بعلم الكلام (الفلسفة) تزندق ».

● ينسب للإمام الشافعى قوله : « لأن يبتلى المرء بكل ما نهى الله عنه، خيرٌ له من علم الكلام (الفلسفة) ».

● يقول ابن حنبل « لا فرق بين الزنديق والقارئ لعلم الكلام ».

٥- ترتب على سيادة التيار السلفى العام حرمان الجماعات الإسلامية من أية أفكار تجديدية :

توفى الطبرى المؤرخ سنة ثلاثمائة وعشرة للهجرة، ودفن ليلا بداره، لأن العوام منعت من دفنه نهارا فى مقابر المسلمين، وادعوا عليه الرفض (شيعى) وبعضهم ادعى عليه الإلحاد.. قال صديقهُ على بن عيسى الإباضى : « والله لو سُئِل هؤلاء عن معنى الرفض أو الإلحاد لما عرفوه » (روى ذلك ابن الأثير فى تاريخه).

٦- روى ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٢٣ هجرية :« وفيه عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون الدور : دور القوّاد والقضاة والعامة، فإن وجدوا نبيذا أراقوه أو أخذوه، وإن وجدوا مغنية ضربوها، وهاجموا الأسواق، ومنعوا مشى الرجال مع النساء ... وكانوا إذا مرّ بهم شخص يعلمون أنّه شافعىّ أغروْا به الصبيان ».

٧- حكى القفطى فى « تاريخ الحكماء » عن حرق كتب عبد السلام الجيلانى فى « الرحبة » ببغداد، وذلك لأنه كان يقرأ كتب الحكمة.. ووُجدَتْ فى

كتبه نسخة من كتاب «الهيئة» للحسن بن الهيثم، فاستعاذ الحَفَظَة (رجال الأمن) بالله من الشيطان الرجيم، وأحرقوا الكتاب، وسُجِن الجيلانى مدة طويلة.. ونقل الأوربيون كتاب الحسن بن الهيثم «الهيئة» وهو فى الرياضيات المتقدمة والفَلَك، كما نقلوا كتاب «الجبر» للخوارزمى.. وكان الكتابان أساسيْن هاميّن لتطور الفكر الرياضى فى أوربا فى العصر الحديث. (ولا تزال «خوارزمية» تعنى مسألة رياضية، فى اللغة اللاتينية، ولا يزال علم «الجبر» باسمه العربى فى اللاتينية وما تفرّع عنها من لغات).

٨- أُحْرِقَتْ كتب كثيرة فى الأندلس والمغرب العربى، ومنها الكتب الأولى لأبى حامد الغزالى، قبل أن يقهره الخط السلفى العام ويكتب «تهافت الفلاسفة».

٩- لابن رشد تأثيره الكبير فى الفكر الإنسانى، ومع هذا فقد حاربه المسلمون «بروح اضطهاد المفكرين المسيحيين فى العصور الوسطى» (كما يرى رينان) وربما أُضطُهِد ابن رشد ـ كذلك ـ لحملته الشرسة على «سلفية الأشاعرة» ورجعيتهم فى فهم المتون الإسلامية، خصوصا وأن معظم الدول الحاكمة لدى مسلمى الأندلس والمغرب كانت تخضع للفكر السلفى الأشعرى.. ويضيف رينان: «إن ما فعله المسلمون بفيلسوفهم العظيم ابن رشد حجب عنهم الاتجاه العلمى التحليلى النقدى الذى أخذته عنه أوربا» ويكمل رينان حديثه: «فى الوقت الذى بدأ الظلام فيه يطبق على المجتمعات الإسلامية فى القرن الثالث عشر الميلادى بدأت طلائع التخلص من قيود العصور الوسطى فى أوربا، وبدأت روح الحرية.. وزال خوف الأوربيين من سطوة التراث المسيحى

والتابوهات (المحرّمات) القديمة . . ومنها « تابو » بحر الظلمات، الذى يقع خلف أعمدة هرقل، والذى منع البحارة من التوغل فى المحيط الأطلسى . . . بدأت روح الانطلاق الأوربية، وكُسِرَتْ أعمدقة هرقل (معنويا) وبدأت الكشوف الجغرافية، على يد الأسبان والبرتغال (الذين تأثروا بأقوال ابن رشد) وسيطرت أوربا على الأمريكتين واستراليا وجزر الأوقيانوس، وأتاح ذلك وفرة اقتصادية، مكنت الأوربيين من السيطرة الاستعمارية على بلدان العالم القديم ومنها البلاد العربية والإسلامية، مما زاد من وفرة وثروة الأمم الغربية » .

١٠- فى قضية الشيخ على عبد الرازق وكتابه « الإسلام وأصول الحكم » نجد سعد زغلول وهو محام وقانونى كبير، يخضع لعبء التراث فيقول - بعد أن فصل العلماء الشيخ على عبد الرازق من زمرتهم « هيئة كبار العلماء » : « . . وما قرار هيئة كبار العلماء إلا قرار صحيح، بمقتضى القانون والعقل والمنطق، فقد أخرجوا من خرج عن أنظمتهم . . . **وهذا أمرٌ لا علاقة له بحرّية الرأى** » !!؟؟ وللأسف فإن الشيخ على عبد الرازق نفسه خضع لعبء التراث وسيطرته، فمنع بنفسه كتابه من النشر حتى وفاته سنة ١٩٦٦ .

١١- فى قضية طه حسين مع كتابه « فى الشعر الجاهلى » حُوِّل طه حسين إلى النيابة العامة بتهمة الإساءة للقرآن الكريم وشخص الرسول بعبارته : « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم واسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم واسماعيل، ولكنّ ورود هذين الاسمين التوراة والقرآن لا يكفى لإثبات وجودهما التاريخى . . » وتثور ثائرة السلفيين لعبارة طه حسين،

مع أن نابليون ـ منذ أكثر من قرن ـ سأل «هيجل» الفيلسوف الألمانى عن مدى إيمانه بتاريخية وجود المسيح، ولم يثر أحد، ومعروف أن التصدّى للأفكار الجريئة، بغير العقل، يفقد المجتمع قدرته على تطوير ذاته.. والأمر الغريب أن أعداء طه حسين اعترفوا أمام المحكمة بأن المراكز العلمية العالمية (ومنها الجامعات) لا تعترف بالكتب المقدسة كوسيلة إثبات تاريخى، وبُرّئ طه حسين لصموده ضد «المنتفعين بالدين» كما كان يقول.

١٢- لا يزال العالم العربى والإسلامى يعانى من السلفيين الذين يرون «أن الإنسان خلق من أجل الدين، لا أن الدين جُعِل من أجل الإنسان».. ويشعر هؤلاء بأن الأرض تميد من تحت أقدامهم، نظرا لترابط الجماعات الإنسانية، وشيوع أفكار الحرّيّة الدينية وحقوق الإنسان على مستوى الدول وعلى مستوى المنظمات الدولية، فضلا عن كثافة وترابط وسائل الإعلام العالمية وتقريبها بين أفكار البشر.

وفى المستقبل ـ غير المنظور ـ سوف يتحوّل البشر إلى جماعة واحدة، وسوف تتحكم «إدارة بشرية عامة» فى العدد المناسب لسُكنَى الكرة الأرضية، وساعتها سوف تنتهى مخاوف الإنسان وحروبه وصراعاته.. وتنهار ـ إلى غير رجعة ـ كل الخرافات الميثولوجية، التى عوّقت الإنسان ودفعته إلى الحرب والعدوان، وحينئذٍ تُردِّدُ الدنيا مع أبى العلاء المعرّى بيتيه الخالدين:

زَعَم الناسُ أنْ يقومَ إمامٌ ... ناطقٌ فى الكتيبة الخرساءِ
كَذِب الزعمُ لا إمامَ سوى ... العقلِ مشيرا فى صبحه والمساءِ

☆☆☆☆☆

(د)

تجاوز أصول الفقه والتغاضى عنه يؤدى إلى أضرار جسيمة

هناك قواعد عامة لأصول الفقه تعدّل الأحكام أو تغيرّها أو تُلْغيها بما يتفق مع المصالح العامة للبشر الخاضعين لتلك الأحكام.. ومن عجب أنّ هناك أحكاماً أصولية عامة لا يرضى عنها بعض الأصوليين (كبعض الأصوليين من المعتزلة) فعلى سبيل المثال فالقاعدة الأصولية التى تقول: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» لا يرضى عنها الزمخشرىُّ ولا واصل (من المعتزلة) كذلك لا يرضى عنها كثيرون من مفكرى آل البيت (الشيعة).. بل يرى كثيرون من هؤلاء أن العبرة «بخصوص السبب لا بعموم اللفظ» لأن التشريع الإسلامى صيغ وفق التفصيلات.

كذلك، هناك «المصالح المرسلة» و «الاستحسان» وقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات» وكل هذه القواعد تُعَدِل فى الأحكام، بل وقد توقف العمل بها، حتى ولو كانت بنص القرآن، فالقرآن ينصّ على قطع يد السارق، إلا أن عمر بن الخطّاب أوقف القطع فى عام الرمادة.. كذلك لو تصوّرنا أن جماعة يركبون سفينة، وضّلوا فى البحر الواسع، ولم يجدوا ماء، وفتشوا فى السفينة عن الطعام والشراب، وتصادف أن عثروا على صناديق مليئة بزجاجات النبيذ، يشربها مسيحيون مشتركون معهم فى الرحلة، فالأمر البدهى أن يُسمح لهم بشرب النبيذ حتى لا يموتوا (والنبيذ محرّم وهم مسلمون).

رفض مَجْمَع البحوث الإسلامية فى القاهرة طلب « هيئات حقوق الإنسان » التى طالبت بتبنّى الأطفال الذين لا يُعرف ذووهم « اللقطاء » . . ورأت « هيئات حقوق الإنسان » أنّ طفلا تتبنّاه أسرة (لا أطفال لديها) سيكون فى « حالة عادية من حالات التربية » وسيأخذ اسم الأب الذى تبنّاه وسوف يكون ابنا للزوجة . . أى أنه سيعيش حياة طبعية كغيره من بقيّة خلق الله؛ خصوصا وأن طرق إثبات الشخصية فى وقتنا هذا، تصرّ على أن يكون كلُّ إنسان منسوبا إلى أب وأم وجدين ولقب للأسرة.

إن مجمع البحوث الإسلامية، لم يُعْمِلْ قواعد أصول الفقه « الاستحسان . الضرورات تبيح المحظورات . المصالح المرسلة . . . » وفضل الالتزام بعموم لفظ آيتى الأحزاب : ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِى تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ . . .** ﴾ [الأحزاب: ٤، ٥].

يقول السيوطى[1] فى أسباب نزول الآية الخامسة من الأحزاب : « أخرج البخارى عن ابن عمر قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد، حتى نزل فى القرآن ﴿ **ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ** ﴾ .

● تفسير الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، والشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، وذُيِّل التفسير بكتاب « أسباب النزول للسيوطى. طبع دار الفكر بيروت لبنان - بدون تاريخ توزيع دار الرشاد الحديثة - المغرب - الدار البيضاء.

بالنسبة لهيئات حقوق الإنسان، المطالبة بالتبنّى لحماية عدد لا بأس به من الأطفال مجهولى النسب، فإن هذه الجماعات، ترى أن مجمع البحوث لم يُعْمِل قواعد أصول الفقه مضحيا بمصالح ومستقبل هؤلاء الأطفال.

والأسوأ من هذا بكثير، كتبه «جولد تسيهر» المستشرق الألمانى المجرى المتقن للغة العربية أكثر من بعض المتخصصين العرب، يقول:

«كان زيد ابناً لمحمد بالتبنى.. وزوّجَهُ النبىُّ محمدٌ لواحدة من قريباته الجميلات، والتى لم تكن مرتاحة من الزواج بزيد، ولم يكن زيد مرتاحا إليها، وكان النبى يتمنّاها (وهذا تطاول على مقام النبوّة من جولد تسيهر).. طلّقها زيد، بالرغم من إلحاح النبىّ على زيد «أن يمسك عليه زوجه».. ولما طلّقها زيد، تزوجها النبى، فثار همس بين أهل المدينة، حيث كان الابن بالتبنّى يُعامَلُ معاملةَ ابن الصُّلب، وكان مجتمع المدينة لا يبيحُ للأب بالتبنى (كالأب من الصلب) أن يتزوج زوجة ابنه، ... لهذا وردت آيتا الأحزاب اللتان تبيحان ذلك الزواج وتَنُصّان على أن المتبنين مجرّد أدعياء».

ليس من صالح الإسلام ولا من صالح المسلمين أن يُقال عنهم: «إنّهم يضحّون بمصالحهم من أجل المتون الدينية، فيصرون على إعمالها بدون فهم لقواعد أصول الفقه وفلسفة أحكام التشريع».

لا يُعقَل أن يكون عمر بن الخطاب، أقرب إلى إعمال قواعد أصول الفقه (التى لم تكن قد ظهرت بعد) وأقربَ إلى تفهّم فلسفة أحكام التشريع من المعاصرين ومن الدارسين من كافة المذاهب، حين أوقف قطع يد السارق فى

عام الرّمادة (المجاعة).

فى سنة ١٩٤٧، حين داهمت «الكوليرا» مصر.. امتنعت الدولة عن الموافقة على إرسال الحُجّاج، حتى لا تنتشر «الكوليرا» فى الأقطار الإسلامية.

وفى سنة ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ، انتشرت «انفلونزا الخنازير H_1N_1» ولم تمنع الحكومة المصريّة الحُجاج من السفر بالرغم من الخظر، وبالفعل زادت حالات المصابين بعد العمرة والحج.

☆☆☆☆☆

obeikan.com